مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٤

العاهة وأثرُها في إبداع الشاعر في العصر العباسي

م.د صالح علي حمود القيسي

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية الأنبار

البريد الإلكتروني Email : alqysysalh290@gmail.com

الكلمات المفتاحية: العاهة ، أثر ، ابداع ، العصر ، العباسي .

كيفية اقتباس البحث

القيسي ، صالح علي حمود، العاهة وأثرُها في إبداع الشاعر في العصر العباسي ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Disability and its impact on the poet's creativity in the Abbasid era

Asst. Dr. Saleh Ali Hamoud Al-Qaisi
Ministry of Education / General Directorate of Education in Anbar

Keywords : : disability, impact, creativity, Abbasid era

How To Cite This Article
Al-Qaisi, Saleh Ali Hamoud, Disability and its impact on the poet's creativity in the Abbasid era ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

ABSTRACT

When studying the good and selected poems of poets in the Abbasid era, we find that they had various disabilities, some of which were physical and some of which were psychological. This is what makes us search for the reasons and motives that have a direct or indirect impact on this, and since the disability had an effective impact in creating this phenomenon, in addition to other factors. Since disability had an effective impact on creating this phenomenon, in addition to other factors, it is necessary to review the various disabilities of many poets to understand the extent of their influence and the results they left on the lives of poets in the Abbasid era and then on their literary output. The research addressed the issue of disabilities affecting creativity, which is one of the complex issues. Many poets have presented it, and it varied according to the disability that the poet suffered from. Often, it was a reason for the poet's ability and capacity to compensate for this disability, and this differs from one poet to another, in addition to the talent, culture, and

creative potential of the poet. These poets tried to draw society's attention to the great creative potential and to forget the visible disability and the matter hidden within the soul, as the research adopted the analytical method to highlight the psychological state that afflicts these poets while expressing these disabilities.

الملخص

عند دراسة القصائد الجيدة والمختارة لشعراء في العصر العباسي نجد أن لديهم عاهات مختلفة منها الجسمية ومنها النفسية، وهذا ما يجعلنا نبحث عن الأسباب والدواعي التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر في ذلك، ولما كان للعاهة أثرٌ فعالٌ في خلق هذه الظاهرة، بالإضافة إلى العوامل الأخرى، فلا بد إذن من استعراض مختلف العاهات عند كثيرٍ من الشعراء لمعرفةِ مدى تأثيرها وما خلفته من نتائج في حياة الشعراء في العصر العباسي ثم في نتاجهم الأدبي ، وقد تناول البحث قضية العاهات المؤثرة في الابداع التي تعد من القضايا المعقدة؛ مما عرضها كثيرًا من الشعراء وكانت متنوعة حسب العاهة التي أصيب الشاعر بها، فكثيرا ما كانت سببا في إمكانية الشاعر وقدرته على تعويض هذه العاهة، وهذا يختلف من شاعر إلى آخر إضافة إلى ذلك الموهبة والثقافة وإمكانية الإبداع عند الشاعر .

وقد حاول هؤلاء الشعراء إلى لفت نظر المجتمع للإمكانيات الابداعية الكبيرة ونسيان العاهة الظاهرة للعيان وأمر الكامنة داخل النفس ، إذ اعتمد البحث المنهج التحليلي لإبراز الحالة النفسية التي تعتري هؤلاء الشعراء أثناء تعبيرهم عن هذه العاهات .

التمهيد

لا بدَّ أولاً من دراسةِ حياةِ الشاعرِ والاطلاع على ما قيل في وصفه وترجمة حياته وذكر صفاته الخلقية والخلقية وما كان يعانيه من عاهة مستديمة لازمته في حياته كان لها وقع وأثر على شعره، وثانيا التوغل في أجواء نتاجه الشعري والادبي، لنتمكن من الكشف عن بعض الصور والتعابير التي تحمل في معانيها معاناة ذلك الشاعر، ومدى تأثيرها في محاولة إثبات قدرته الأدبية وما يهدف إليهِ في حقيقةِ الأمر.

ويدفعنا ذلك الى التقصي والبحث فيما إذا كان الشاعر ذا عاهة نفسية غامضة لم تبرز للعيان، ذلك لأنَّ كثيراً من ذوي العاهات الجسمية قد لقبوا بها كما سنرى وهذا دليل قاطع على اتصافهم بها.

يقول كولدرج: (إنَّ القصيدة ذات القوة الأصلية التي تستحق اسم الشعر بمعناه الجوهري، ليستِ القصيدةُ التي منحتنا أكبرَ مقدارٍ من اللذة ، وإنَّما هي القصيدة التي تعطينا أكبرَ مقدارٍ من اللذة حينما نعود إلى قراءتها) [١].

إنَّ تراثنا الأدبي غنيٌ بكثيرٍ من تلك القصائد التي وصفها كولدرج بذات القوة الأصلية والمتعة في داخل النفس. وقد حفلت دواوين شعرائنا منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحالي بمختلف القصائد الجياد. ولعلنا لا نغالي اذا قلنا بأنَّ من يجمع القصائد الجياد المختارة من عيون الشعر العربي، يجد نسبةً كبيرةً منها كما ذكرنا تعود إلى شعراءَ ذوي عاهات مختلفة جسمية ونفسية لازمتهم طوال مسيرة حياتهم الادبية فأخذت وأعطت ، وأثرت، وتأثرت، ولأنه كما يرى علماء النفس : أنَّ ذا العاهةِ يتعلقُ تعلقاً شديداً بالأشياءِ التي تجرح شعورهُ، فيفكرُ فيها طويلاً حتى يفسرها دائماً ضد نفسه[٢]، ولا شكَّ أنَّ تألمَ ذو العاهة عندما يلقب بعاهته تكون أشد وطأة وأكبر معاناة وأثراً في نفسه عندما يلقب بعاهته.

وهناك الكثيرُ من الشعراء في عصور مختلفة لقبوا بعاهاتهم مثل :

– الأعشى ، والأعور، والأجدع ، والأبرص في العصر الجاهلي ، وذي الرقعة الأقيشر، ووجه الباب من العصر الاموي، والحكوك ، والوطواط ، والرواسي ، والحزنبل ، من العصر العباسي ، وسنقف عند بعض من شعراء العصر العباسي نحو بشار ، وأبي نواس ، وأبي العلاء المعري ، وأشجع السلمي ، وأبي تمام ، وابن الرومي، والشريف الرضي.

وقد ساهمت هذه العاهات التي يعاني منها هؤلاء الشعراء في خلق إمكانيات وقدرات هائلة مكنتهم من الظهور الابداع والإجادة؛ لأنَّها حفزتهم إلى القدرة والتفكير، ليحاولوا سلوك طريق التفوق ، والظهور بمظهر يعوضون ما يحسون به من نقصٍ كبير، و أنهم كانوا يتألمون ويشكون مما يكابدون، ولكن ألامهم مكنتهم وساعدت الى حد كبير بعد ذلك الى نتاج رائع مشحون بالعواطف والأحاسيس، وإذا ما توغلنا في أجواء ذلك النتاج نستطيع أنْ نستخلص ما كان يعانيه الشاعر من عُقد نفسية ، أو منْ حالاتٍ معينةٍ سببتْ له الأرقَ والضجر ، وهذا ما أرغمه على أنْ يعوضَ عنها بوسيلةٍ أو بأخرى، ولاسيما إذا كانت وسائل التعويض ليستْ عسيرة فهي كثيرةٌ تحتاجُ إلى موهبةٍ وقدرة وقابلية يستطيع الشاعر بواسطتها التعبير عما يجول في خاطره دون تكلف وعناء.

المبحث الأول

العاهات الجسمية

من العاهات الظاهرة هي العاهات الجسمية التي لا يمكن إخفاؤها وهذا ما نجده عند كثير من الشعراء في العصر العباسي ، فمنهم :

– الشاعر بشار بن برد :

الذي جمع بين عاهة العمى ، وخمول النسب ، وقبح الصورة وبشاعة المنظر، قال الأصمعي يصفه: (كان بشار ضخماً ، عظيم الخلق والوجه، مجدوراً طويلاً، جاحظ المقلتين ، قد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى ، وأفظعهم منظراً) [٣]، وكان الشاعر بشار شأنه شأن ذوي العاهات ، يحاول جاهداً أنْ يوهمَ نفسه ويوهم الناسَ بأنه جميل الصورة ، وهذا شأن أغلب شعراء العاهات ، لذا قال [٤]:

عميتُ جنيناً والذكاءُ من العمى فجئتُ عجيبَ الظنّ للعلمِ موئلا

ويدعي الشاعر أنَّ له نسباً يرجع إلى كبار الملوك والأمراء، وأنه رشيق القوام ، حتى أنَّ الفتيات تعشقه ، وتتمنى لقاءه والتحدث إليه، وقد نظم الشاعر قصيدة لامرأة أحبها وعشقها حتى كتب أجمل الابيات وأروعها في محبوبته عبدة فقال [٥] :

يزهدُني في حبِّ عبدةَ معشرٌ قلوبُهم فيها مخالفة قلبي
فقلتُ دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلبِ لا بالعينِ يبصرُ ذو اللب
وما الحسنُ الا كلُّ حسنٍ دعا الصبا وألفّ بين العشقِ والعاشقِ الصَّبِ

فهذه الأبياتُ من قصيدة طويلة نموذج دالٌّ على الغزل الذي يتسم بالرقة والبساطة ، ويؤكد استبدالَ الرؤى البصرية بالقلب ؛ لينتصر على عاهة العمى ، وهو يعبر عن شخصية اجتماعية لها تأثير في مجالس اللهو والغنى، وكان يجلس فيما يشبه الصالون العصري يستقبل النساء الراغبات في سماع شعره من المغنيات اللواتي حفظن هذا الشعر وهو يدعي انتصاره على عاهة العمى برؤية النساء يقول [٦] :

يا منظرا حسنا رايته من وجه جارية فديته
بعثت الي تسومني برد الشباب وقد طويته

وكان يذكر ذلك أمام من مدحه من الخلفاء ولعل ذلك من شدة تألمه ومعاناته كما قال [٧]:

خلقت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنتُ المهذبا

سوفي هذا يكون إحساس الشاعر بمأساته إحساساً ذاتياً لا يشاركه فيه أحد، إذ يكون أثر الحدث مقتصراً على الشعراء أنفسهم فلم يشاطر أحد من الناس الشعراء أحزانهم ومشاعرهم الخاصة بهم، وبهذا كُثرَ استعمال ضمير المتكلم عند الشاعر ولاسيما في حديث الشاعر عن أحواله ووصفه لأحزانه ولتصوير أثر العاهة الجسمية فيه، قال بشار [٨]:

أظل لأحداث المنون مروعاً وكأن فؤادي في جناح طلوب
عجبت لإسراع المنية نحوه وما كان لو مليته بعجيب

رزئـــت ببنـــيّ حـــين أورق عـــوده وألقـــى علـــي الهـــم كـــل قريـــب

ويروي ابن قتيبة أن حماد عجرد كان يهجو بشارًا فلم يكن فيما هجاه به شيء أشد على بشار من قوله [٩]:

ويـــا أقـــبح مـــن قـــردٍ اذا مـــا عِمـــي القـــردُ

ومما كان يزيد من إيلام الشاعر ومعاناته تعرض الناس له فيما يرويه ابن المعتز في طبقاته مثلا: (أن رجلاً قال لبشار: إن الله عز وجل ما سلب أحداً كريمتيه إلا عوضه عنهما حُسن صوت أو ذكاء، فأنت ماذا عوضك من بصرك؟ فقال: عوضني فقدان النظر الى ابن زانية مثلك منذ أربعين سنة) [١٠].

وهنا نجد من الأهمية بمكان من الإشارة إلى أن معاناة بشار قد ساهمت مساهمة كبيرة في رفعة شأنه واتقاد موهبته الشعرية ، فقد استطاع بشاعريته الفذة، ورصيده اللغوي والفني الكبير أن يبني مجده الأدبي، وأن يعوض بذلك عما فقده من عاهات جسمية كما قال الدكتور طه حسين: (إن الشاعر ليس محبباً إلى النفس؛ لأنه مجيد ليس غير، وإنما يجب إلى هذه الاجادة خلالاً أخرى تدني منك شخصيته حتى تحبه وتميل إليه ولم يرزق الله بشارًا من هذه الخلال شيئا، أو لم يكد يرزقه منها شيئا، وإنما منحه من القوة الفنية والإجادة في الشعر حظاً موفورا)[١١].اي ان الموهبة الفنية تعوض عما سواها.

– الشاعر شجع الأسلمي :

اذا ما بحثنا عن الشاعر نجده رديء المنظر قبيح الوجه، مصاباً بعينه وكان ثقيلاً على قلب الخليفة الرشيد، فدخل عليه يوما فقال: يا أمير المؤمنين إني رأيت أنْ تأذن لي في إنشادك، فإني إنْ لم أظفر منك ببغيتي في هذا اليوم فلن أظفر بها. قال: وكيف ؟ قال: لأني مدحتك بشعر لا أطمع من نفسي ولا من غيري في أجود منه فإنْ أنا لم أهزك في هذا اليوم، فقد حرمتُ منك ذلك إلى آخر الدهر.

فقال: هات إذن نسمع، فأنشده قصيدته الميمية التي يقول فيها:

وعلـى عـدوك يـا ابـن عـم محمـد رصَـــدان ضـــوء الصـــبح والأظـــلام

فـــاذا تنبـــه رعثـــه وإذا هـــدا ســـلت عليـــه ســـيوفك الاحـــلام

فلما سمع هذين البيتين أهتز وارتاح ثم قال: يا أشجع لقد دخلت إليَّ وأنت أثقل الناس على قلبي، وإنك لتخرج من عندي وأنت أحب الناس إليّ [١٢].وبهذا استمكن السار من قلب الخليفة.

– أبو العلاء المعري :

وللعاهة أمر أخر عندما يحين التحدث عن أبي العلاء المعري فهي ترسم أمامنا بلا شك ملامح العبقرية الفذة، فهو شاعر واسع الاطلاع، متوقد الذهن، وعظيم البضاعة من العلم والأدب، قوي الحافظة، متمكن من اللغة كان يقول عن نفسه: (ما سمعت شيئا إلا وحفظته وما حفظت شيئا فنسيته)، وكان موسوعة زمانه، قال التبريزي: (ما أعرف إن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري وقد اعتاد مؤرخو الآداب العربية أنْ ينعتوه بفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة).

وكان من طبائع أبي العلاء حبه للعزلة والابتعاد عن الناس حتى لقب برهين المحبسين، ولعله كان ينشد الوحدة ليجد ذاته فيها ويستغرق في معاناة تجربته [١٣]، وفي حبه للوحدة يقول [١٤]:

وفي وحدة المرء ستر له فكن مثل سيفك حلف الربد

وفي هذا يقول: فانفرد ما استطعت فالقائد الصادق يضحى ثقلا على الجلساء، لاشك أنَّ معاناة الشاعر أبي العلاء من عاهته هي التي الجأته إلى ذلك.

فقد أصيب منذ الصغر بالجدري فأفضى إلى عمى جزئي وفي النهاية إلى عمى تام، وكان بالإضافة إلى ذلك نحيف الجسم قصير القامة واسع الجبهة ومشوه الوجه وهذه هي صفاته الجسمية

وقد ساهمت تلك العاهات مساهمة فعالة في إظهار عبقريته، لاسيما عاهة العمى وهذا لا يعني بأننا ننتظر العبقرية من كل أعمى، فالعمى عند المعري من العوامل التي أثرت في اذكاء جذوة العبقرية وفي إلهاب الموهبة الكامنة التي حان وقتها للظهور كوسيلة تعويض عما فقده من محاسن الوجه البشري لدى الشاعر، وقد استطاع بكل جدارة أنْ يتغلبَ على عاهتهِ هذه ويخفف من معاناته بعد أنْ بلغ درجةً علمية مرموقة اعترفَ بها القاصي والداني يقول [١٥]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

وكثيراً ما يؤكد علماء النفس (بأن مشوهي الوجه يمكنهم أن يتغلبوا على عاهاتهم لولا أن الاتجاه الاجتماعي يعد الشخص الذي به عاهة شاذا ومختلفا عن الآخرين، وينصب هذا على جميع المصابين بعاهات جسميه إلا أن بعض مشوهي الوجه يكونون هدفا سهلا ينتج مشاعر اجتماعية متباينة)[١٦] ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ جميع هذه العوامل ساهمت في تغلب أبي العلاء على عاهاته، وهناك عوامل أخرى ساهمت في تغلب الشاعر كشدة حساسيته وعلمه بطابع المجتمع العربي مما ساقه إلى إسكات الأفواه الساخرة، وبوسائله الدفاعية والتعويضية المختلفة وهذه ميزة انفرد بها الشاعر عن شعراء العصر العباسي.

- الشاعر محمد بن عبدالله بن طاهر :

وكان الشاعر العباسي محمد بن عبد الله بن طاهر أعرجاً، وهي عاهة ظاهرة لدى شاعر وأديب عظيم في نفسه وعند سلطان زمانه، قدم من خرسان بعد موت إسحاق بن ابراهيم فقلده المتوكل أعمال اسحاق ببغداد وسر من رأى (سامراء)، ومن شعره يصف حال إدراك نفسه: ومن ذلك قوله

وإذا أهمّـــت الجفـــون بتغمـــيض فـــــإني بـــــذكرها ذو ولـــــوع
ولقـــد رمـــت كـــتم ذلـــك فنمّـــت فاســـتعان الحشـــا علـــيّ دمـــوعي

ويظهر الشاعر معاناته من عاهته بكثرة الهموم والدموع . من بين الشعراء العباسيين العميان أبو الشيص الخزاعي وهو شاعر متوسط المحل من شعراء عصره، غير نابه الذكر وذلك لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمي وأبي نواس.

ويذكر أنه عمي في آخر عمره وله مراث في قبل ذهابهما وبعده وكان سريع الهاجس؛ وذلك لتمكنه من قول الشعر اضافة الى جانب العمى ، واثره في ابداع الشاعر ، وكان له القدرة في قول الشعر فهي أهون عليه من شرب الماء ، وهو من أوصف الشعراء للناس في الشراب ، وأمدحهم للملوك ومن جيد شعره ، قوله [١٧]:

وقـــفَ الهـــوى بـــي حيـــث أنـــتِ فلـــيس لـــي متـــأخر عنـــه ولا متقـــدمِ
أجـــد الملامـــة فـــي هـــواك لذيـــذة حبـــاً لـــذكرك فليلمنـــي اللـــومِ
أشـــبهتِ أعـــدائي فصـــرتُ أحـــبهم اذ كـــان حظـــي منـــك حظـــي مـــنهم

وفي هذه الأبيات يتجه الشاعر إلى وصف الحبيبة كأنه يراها لينتصر لعاهة العمى ويستمتع في ذلك لعاهة العمى التي تزيد من حدة العوامل النفسية الى جانب عوامل أخرى .

وكان ممن أصيب بعاهة العمى أيضاً الشاعران أبو علي البصير وأبو العيناء، وكان بينهما صداقة حميمة وطرافة مما جعل بينهم الكثير من المواقف التي ذكرت فيهم منها .

قال أبو علي البصري لأبي العيناء: في أي وقت ولدت من النهار؟ قال: طلوع الشمس، قال: فلذلك خرجت مكدياً ؛ لأنه وقت انتشار المساكين: إني من عميان الدواب وانت من عميان العصا [١٨].

وكان أبو العيناء واسمه محمد بن القاسم بن خلاد أديباً فصيحاً، اشتهر بنوادره ولطائفه الجميلة وكان واسع الذكاء حسن الشعر، أصله من اليمامة، قال عنه الخليفة المتوكل: لولا أنه ضرير لنادمته: فنقل إليه ذلك فقال: إن أعفاني الخليفة من رؤية الأهلة فإني اصلح للمنادمة. وكان بينه وبين رفيقه أبي علي البصير رسائل كثيرة ذكر منها الكثير في الكتب الادبية[١٩].

ومن الشعراء العباسيين من الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة الشاعر عمارة بن حمزة وكان أعور ذميماً يتمتع إلى جانب ذلك بمركز اجتماعي رفيع، فقد كان المنصور والمهدي يقدمانه، ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته وكفايته وكان يعد من بلغاء الناس وعن عاهته قال فيه أحدهم:

أراك ومـــا تـــرى إلا بعـــين وعينـــك لا تـــرى إلا قلـــيلا
وأنـــت إذا نظـــرت بـــك عـــين فخـــذ مـــن عينـــك الأخـــرى كفـــيلا
وكـــأني قـــد رأيتـــك بعـــد شـــهرٍ بـــبطن الكـــف تلـــتمس الســـبيلا

وروي أنَّ دعبل بن علي الخزاعي كان أطرشًا، وكانت له سلعة [٢٠]، وقيل: إنه نظر يوما في المرآة فجعل يضحك! فقيل له: من أي شيء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهي في المرآة ورأيت هذه السلعة التي في عنفقتي، فذكرت قول الفاجر ابي سعيد

وســـلعة ســـوء بـــه ســـلعة ظلمـــت أبـــاه فلـــم ينتصـــر [٢١]

وأبو سعيد هذا هو الذي هجى دعبلا واسمه عيسى بن خالد بن الوليد المخزومي، وقيل خرج دعبل يوما إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل، فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل:

لا تعبـــأنَّ بـــابنِ الوليـــد فإنّـــه يرميـــك بعـــد ثلاثـــة بمـــلال
إنَّ الملـــوك وان تقـــادم عهـــده كانـــت مودتـــه كفـــىً ظـــلالِ [٢٢]

قال فدفع الفضل إلى مسلم بن الوليد الرقعة وقال له: أنظر يا أبا الوليد الى رقعة دعبل فيك، فلما رآها قال له: هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد وهو يفسق به؟ قال: لا. قال: كان يلقب بمياس وهذا من جانب السخرية والتهكم ثم كتب اليه [٢٣]:

مياس قـال لـي أين أنـت من الـورى لا أنـــت معلـــوم ولا مجهـــول
أمـــا الهجـــاء فـــدق عرضـــك دونـــه والمـــدح عنـــك كمـــا علمـــت جليـــل
فاذهـــب فأنـــت طليـــق عرضـــك إنـــه عـــرض عـــززت بـــه وأنـــت ذليـــل

ورغم ما روي عن دعبل وما اتصف به من عاهات جسمية فقد كان شاعراً مغلقاً متقدما مبرزاً متمكناً ومن أسرة معروفه بالشعر [٢٤]،قال في الكرم :

مـــا يرحـــل الضـــيف بعـــد تكرمـــة الا برفـــــد وتشـــــييع ومعـــــذرة

وقال عنه المأمون: لله دره ما أغوصه وأنصفه، وأوصفه [٢٥].

وكان (دعبل هجَّاءً خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن) [٢٦].

ومن جيد أشعاره قوله [٢٧]:

أيـــــن الشـــــباب وأيـــــةً ســـــلكا ... لا ايـــنَ يطلـــب ضـــل بـــل هلكـــا
لا تعجبـــي يـــا ســـلم مـــن رجـــل ... ضـــحك المشـــيب براســـه فبكـــا
يـــا ليـــت شـــعري كيـــف نومكمـــا ... يـــا صـــاحبي اذا د مـــي ســـفكا
لا تأخـــــذوا بظلامتـــــي أحـــــداً ... قلبـــي وطرفـــي فـــي دمـــي اشـــتركا

وهكذا مر جميع الشعراء الذين ذكرناهم بأمد كبير من المعاناة، وكانت طويلة عند بعضهم، ومؤقتة عند بعضهم الآخر، وذلك حسبما قدرة العاهة وتأثيرها في نفوسهم، ولا بد أنْ تذكر هنا بأنَّ المعاناة بمعناها الشامل التي تعرض لها الشعراءُ بهذا العصر لم تكن مقتصرة على ذوي العاهات بسبب عاهاتهم، فقد كان بعض الشعراء السالمين من العاهات الجسمية يعانون كذلك وهذا ما سنبحثه في المبحث الثاني (مبحث العاهات النفسية).

المبحث الثاني

العاهات النفسية

سنقف في هذا المبحث عند العصر العباسي لنطلع على عاهات مجموعة أخرى من الشعراء المشهورين بالعاهات النفسية بعدما طرقنا أبواب العاهات الجسمية في المبحث الأول وعلى رأس هؤلاء الشعراء :

- الشاعر أبي نواس

: شاعر عباسي أشهر من أنْ يعرف، لم نسمع عنه أنه كان ذا عاهة ظاهرة، ولكن الذي يستوقفنا عنده هو اهتمامه الكبير بجانب معين وبارز في شعره ذلك هو وصف الخمرة والتغني بها، ثم طغيان ذلك الوصف على أكثر قصائده، حتى عرف بها واشتهر، وما كان أبو نواس كما هو معروف من الشعراء الذين أكثروا في ذكر الخمر في أشعارهم ذكروا الخمرة في أشعارهم وحسب، بل انغمس في تعاطيها أيضا، وأسرف كثيراً في ذلك ، و اقترنت باسمه حتى أنَّ بعض الائمة عندما مات الشاعر رفض أن يصلي عليه في بادئ الامر .

ويحق لنا هنا التساؤل لمحاولة الوصول إلى معرفة العاهات النفسية الكامنة في هذا العصر : لماذا انغمس أبو نواس في تعاطي المسكرات والإدمان عليها؟

لاشك أنَّ جواب هذا السؤال متوفرٌ في بحوث علماء النفس والباحثين في طبائع الإنسان المختلفة ، وجميع هؤلاء يؤكدون بأن سبب الانغماس والإسراف في تعاطي الخمر وراءه دوافع منها ، هو التوتر العصبي والضجر الدفين الملازمين لحياة الشاعر، ويعني هذا أنَّ أبا نواس كان عصبياً قلقاً، وإذا كان كذلك فهناك الكثير من الأسباب التي كونت عنده تلك الحالة، أو الأسباب التي أدت إلى مضاعفتها واستمرارها إنْ لم تكن كونتها؟ وهذا من دواعي دراسة هذا

الشاعر في المبحث النفسي.

لاريب أنَّ في داخل أبي نواس صراعاً عنيفاً قائماً بين الشعور بنقص معين وبين الشعور بتوفر التمكين في قابلية الإبداع الفني والإجادة، فهو حين يبلغ درجة النشوة القصوى مثلاً ساعة زهوه بعلمه وقوة شاعريته وسعة أفقه، يرسم أمامه في الوقت نفسه كابوس ذلك النقص، الذي كان يسبب له الضجر والأرق، حتى أرغمه ذلك على الاستعانة بالخمرة، لكي ينسى معاناته ولو مؤقتا ، ومن هنا يتبادر السؤال ما هو ذلك النقص أو تلك العاهة النفسية ؟

لا يخفى على أحد أن العصر الذي عاش فيه أبو نواس كان عصر الترف والانفتاح والإسراف في الملذات والامتزاج الحضاري بين الأمم ، وقد ساهم ذلك بالإضافة إلى سيرة الشاعر الذاتية والأحداث الخاصة التي مر بها في خلق العاهة أو النقص، الذي من اول اسباب محاولة الظهور فالشذوذ الجنسي انحراف شاع في مجتمعه، رافقه التغزل بالمذكر حتى أصبح غرضاً شعرياً بارزاً، هذا بالإضافة إلى مختلف أجواء الفساد.

وقد عاش أبو نواس في تلك الأجواء منذ نشأته، الى أنْ تأثر بها قال ابن المعتز: (إن أبا نواس لما ترعرع خرج إلى الأهواز فانقطع إلى (والبة بن الحباب) الشاعر وكان والبة يومئذ مقيما بالأهواز وكان أبو نواس وضيئا، صبيحا، فعشقه والبة واعجب به [٢٨]، وفيه يقول والبة الشاعر [٢٩]:

يا شقيق النفس من حَكَمِ نمت عن ليلي ولم أنمِ
فاسقني البكر التي اعتجزت بخمار الشيب في الرحمِ

وفي أخبار أبي نواس: (أنه كان حسن الوجه، رقيق اللون، أبيض، حلو الشمائل، ناعم الجسم، وكان في رأسه سماجة وتسقيط، وكان الثغ بالراء يجعلها غيناً، وكان نحيفا في حلقه بحة لا تفارقه) [٣٠].وهذه أهم صفات الشاعر.

ويروي أبو الفرج الاصفهاني: (أن والبة كان استاذ أبي نواس وعنه أخذ ومنه اقتبس، قال: وكان والبة قد قصد أبا بجير الأسدي، وهو يتولى للمنصور الأهواز فمدحه وأقام عنده، فألفى أبا نواس هناك وهو أمرد) [٣١]. فصحبه وكان حسن الوجه فلم يزل معه... [٣٢] ويبدو من ذلك كما يقول الدكتور طه حسين: (أنه قد كان بين الأستاذ وتلميذه عشرة سيئة، لم يتحرج من روايتها ابو الفرج ولم يتحرج من روايتها ابو نواس نفسه) [٣٣].

ولعل ما تعرض إليه ابو نواس في هذه العشرة السيئة وأسباب أخرى قد زرع في أعماقه العاهة النفسية، سلك لأجل التعويض عنها وسائل عدة، ليتمكن من الابداع في الادب واللغة كان أبرزها تعاطيه الخمر والتغني بها والشذوذ الجنسي الذي كان شائعاً في ذلك العصر. كما أنه

شاعرُ الخمرة بلا منازع فقد اكثر في وصف الخمر وطقوسها وثار على العادات والتقاليد ، والعرب بطبيعتهم ترفض هذا اللون من الشعر فقد نصحه الكثير من الاصحاب بالبعد عنها ، فيقول:

دعْ عنكَ لومي فإنَّ اللومَ إغراءُ ... وداوني بالتي كانتْ هي الداء

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظتَ شيئا وغابت عنك أشياءُ

فابو نؤاس يطلب من مرشده الا يكثر من لومه ؛ لأنَّ ذلك سيزيده بعداً وانحرافا وأخبره بأنَّ من يدعي الفلسفة في علمه لا يمكنه أن يحوز العلم وحده .

ولم يجد أبو نواس بعد ذلك سبيلاً لتعزيز مركزه الاجتماعي غير التفوق والاشتهار في عالم اللغة والادب، فكان ذا ملكة شعرية، وحافظه قوية، وثروة لغوية كبيرة، وأفق واسع ساعده كل ذلك وساهم في بناء صرحه الأدبي الشامخ إلى أنْ أصبحَ يشار له بالبنان [٣٤]، وهذا ما تشهد به كتب الادب والتراجم .

– الشريف الرضي :

وإذا ما أمعنا النظر في شخصية الشاعر الشريف الرضي نجده يعاني من الحالة النفسية إلى جانب عبقرية فذة، يقول الثعالبي كان الشريف الرضى: (أبدع أبناء الزمان وأنجب سادة العراق يتحلى مع محتده الشريف، ومفخرة المنيف بأدب ظاهر، وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر، ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر، على كثرة شعرائهم المغلقين، ولو قلت أنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق) [٣٥]، وقد شهد بعبقريته كبار الأدباء والنقاد بعد أن وجدوا في شخصيته موسوعة علمية أدبية (فقد كان واسع الأفق يكتب في الفقه والتوحيد والنحو والبيان، وله إشارات إلى مؤلفات الأكابر تدل على أنه من المطلعين على ذخائر العلوم الأدبية والشرعية، وله توجيهات لكلام من سبقوه، توجيهات تشهد بأنه تناول حياة التأليف بالنقد والتمحيص والتهذيب) [٣٦]. وهذا ما ينفرد به عن الكثير من أقرانه إضافة الى أصالة النسب التي ميزته عن غيره.

وكان إلى جانب عبقريته يعاني من حالة نفسية معينة كانت تحدث له عند إنشاده الشعر بنفسه في بعض المواقف، مما اضطره إلى الإنشاد في موقف دون آخر، وهذا هو السبب الأول الذي اضطره الى التحرج في الانشاد، فمما يروى أنه كان ينشد شعره بنفسه أمام الخلفاء، أما الملوك فالحال مختلف فكان يرسل إليهم قصائده لتنشد عنه بالنيابة، وذلك لأنه كان حيّي الوجه [٣٧]، لا ينشد في المواقف المهيبة، حيث يتضح من ذلك بأنَّ المواقفَ المهيبة كانت كبيرة لا تفارق مجالس الملوك ومحافلهم، أو إنها أكثف وأشد مما هي في محافل الخلفاء، وقد استغل حساد

الرضي هذه، وهذا ما نجده كثيرا ما يصادف العظماء حتى بلغه يوما أنهم قالوا لبهاء الدولة: (بأن عادته قد جرت بإنشاد الخلفاء شعره، وأنه إنما يتكبر عليك بترك الإنشاد، لأنه لم ينشد قط ممدوحًا، وهذه فضيلة تفرد بها عن الشعراء) [٣٨]. وأرادو تشويه صورته عند بهاء الدولة، فكتب إليه الشريف الرضي بالأبيات الآتية مع قصيدة في كتاب يعتذر فيها عن الإنشاد ذاكراً الأسباب والدواعي بقوله [٣٩]:

جناني شجاع إن مدحت وإنما ... لساني إن سَيمَ النشيدَ جبانُ
وما ضرّ قوّالاً أطاع جنانه ... إذا خانه عند الملوك لِسانُ
وربَ حَيِيَ في السلام وقلبه ... وقاحٌ اذا لَفّ الجياد طِعَانُ
وربَ وقاح الوجْه يحمل كفه ... أناملَ لم يحرقْ بهنَ عِنانُ
وفخر الفتى بالقول لا بنشيده ... ويروي فلانٌ مَرّةً وفلانُ

ومن بديع نظمه في الحماسة والفخر قصيدته الحائية التي عدّها الدكتور زكي مبارك نشيد الفتوة في ذلك الزمان إذ قال [٤٠]:

نبهتهم مثل عوالي الرماح ... إلى الوغى قبل نموم الصباح
فوارس نالوا المنى بالقنا ... وصافوا أغراضهم بالصفاح
لقارة سامع أنبائها ... يقصُ منها الزلال القراح

وما تجدر الإشارة إلى ذكره، أن أكبر حادثه أثرت في نفسِه أبلغ الأثر سجن أبيه في بلاد فارس (٣٦٩-٣٧٥هـ) ومصادرة أملاكة، فراح يمدحُ أباه بقصائد كثيرة، وهي تنقسم إلى ثلاث طوائف:في هذه الحادثة

الطائفة الأولى: في التوجع لأبيه وهو سجين.

والثانية: في تهنئة أبيه بالخلاص ورد أملاكه إليه.

والثالثة: في تهنئته بالأعياد بعد أن لان الزمان.

ولكل طائفة من هذه الأشعار خصائص تظهر في داخل الشاعر ليعبر عنها ، ففي الأولى يصور الحزن والجزع والتضجر، وفي الثانية يغلب عليها الانفتاح والانشراح، والثالثة تخلع على أبيه رداء الملوك، فهو يدخل عليه في كل عيد بقصيدة كما يضع الشعراء في تحية الخلفاء والملوك[٤١].

وكانت أول قصيدة قالها في مدح أبيه التي يفخر بها بنسبة و مطلعها [٤٢]:

تُصافي المعالي والزّمانُ معاندُ ... ونهض بالامال والجد قاعد

تقع القصيدة في سبعة وثمانين بيتا وهي – وإن كان من أول ما نظم الشعر – فهي جيدة في

عرض معاناة الألم والغربة بعد غياب والده، وقد تحدث في بعض ابياتها حديث الحكماء فقال :

ينالُ الفتى من دهره قدرَ نفسه وتأتي على قدر الرجال المكايدُ

فهذه العوامل النفسية كلها التي مر بها الشاعر أرست قواعد الإبداع والعبقرية عند الشريف الرضي، فمرة نراه يصور المعاناة من الألم والغربة، ومرة صور زوال هذه الأوجاع والمعاناة بخلاص والده من المحنة ورجوع أمواله له، ومرة أخرى نراه يصور والده كالملوك والقادة والوزراء في تهنئته بالأعياد بعد أن فرجت محنته وطاب حاله، فتعددت الصور الشعرية، وتنوع إبداع الشاعر بحسب الحالة النفسية التي مرَّ بها عند قوله الشعر، وكل هذا زاد في مزلته الفنية.

- الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي :

- وأما الشاعر أبو تمام: فكانت عاهته النفسية يعاني من حبسة شديدة وتمتمة [٤٣] - والتمتمة عند علماء النفس عبارة عن تعبير صوتي غير منتظم وأعراضه الشائعة لا يستطيع الشاعر السيطرة عليها تشمل انعدام القدرة على النطق لبعض الحروف أو تكرارها سواء ذلك بشكل إرادي أو غير إرادي [٤٤]- وكانت هذه العاهة تعيقه عند الانشاد في المحافل والمجالس، فكان أخوه سهم ينشد نيابة عنه، وهذا من العاهة النفسية التي كان لها التأثير المباشر في شخصيته وإن كانت عاهة ظاهرة إلا أنها تسبب عاهة نفسية لدى صاحبها، وذلك لما يحدث أثناء التمتمة من عدم التحكم من بعض الحركات الجسمية وهذا ما أكده علماء النفس في (أن التمتامين عموما أضعف من الأشخاص العاديين في قدرتهم على الحركات الإرادية لأعصاب الحاجب أو اللسان أو الفك أو الشفه)[٤٥]، ولعل ذلك هو الذي كان يبعد أبا تمام عن الانشاد تحاشيا للإحراج والارتباك وهذا يمثل العاهة النفسية، لعدم تمكين حساده من السخرية والاستهزاء الذي قد يصدر من بعض مناوئيه.

وقد يكون ذلك السبب المباشر الذي دفع سعيد الثغري الى أن يشتري له غلاما بثلاثمائة دينار لينشد شعره، وكان غلاما فصيحا اسمه الفتح. وفي حُبسة أبي تحام وتمتمته يقول مخلد بن بكار الموصلي:

يا نبي الله في الشعر| و يا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم[٤٦]

ولعل أبا تمام كان يتمنى أن ينشد شعره بنفسه لا سيما وقد كان فيه من الصفات الجسمية منها فخم الابتداء، له روعة، وعليه أبهة، وكان يختار من الألفاظ والمعاني ما هو ملائم وذو نغمة موسيقية تضفي على جو القصيدة روعة وبهاء، وكان يحب التنقل في ولايات الخلافة العباسية والتطواف وانتجاع الأقاليم والثغور في العالم الإسلامي، الذي عده وطنا واحداً له. وقد صور هذه

الحالة أصدق تصوير في أبياته الأولى من قصيدته التي مدح بما محمد بن حسان الصُبي [٤٧]:

ما اليوم أوّلَ توديع ولا الثاني البين أكثر من شوقي وأحزاني
خليفة الخِضرِ مَن يربع على وطنٍ في بلدةٍ فظهورُ العيسِ أوطاني
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين وبالفسطاط إخواني
وما أظنُ النّوى ترضى بما صنعت حتى تُطوّحُ أقصى خراسان

وهنا يؤكد ان حياة الشاع على سفر دائم، وترحال قائم على ظهور الأبل يطوف البلاد وكأنه خليفةُ الخضر، فأهله في الشام، وهواه في بغداد، وهو بالرقمتين، وإخوانه في مصر وقد يطرح به النوى أقصى خراسان. وحتما ان يكون الاهل كراما في مواقف مشهودة لوفاء المشاعر النبيلة التي تبقي المودة وتصون العهد وتحفظ الجميل ، و هكذا حقا كان أبو تمام، فنراه يرتحل إلى الموصل ومنها إلى أرمينية وينال عطاءً وافراً من واليها خالد بن يزيد الشيباني.

وللشعراء في صور مراثيهم روعة الخيال والقدرة على التصوير الحسي، الذي ينقل تجربة إحساس الشاعر إلى القارئ ، وهم غالباً ما يعتمدون على الصورة الفنية موقع للموقف لا على تجزئتها وتفتيتها [٤٨]، وكان أبو تمام يعمد إلى الأفكار ويتعمق فيها ويستنبط منها ألواناً يرتاح لها الذوق و العقل، وقد أثنى عليه أبو العلاء المعري في هذا الجانب فقال: (كان صاحب طريقة مبتدعة، ومعاني كاللؤلؤ متتبعة يستخرجها من غامض البحار، ويفضُّ عنها المستخلق من الحار)[٤٩] وهذا يؤكد تأثر الجانب النفسي عند الشاعر وهنا ننظر الى صورة المد بالكرم وان الكريم لايوفر مالا ابدا كما يقول في مدح الحسن بن رجا [٥٠]:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيلُ حربٌ للمكان العالي
وتنظري خببَ الركاب يَنصُها محيي القريض إلى مميت المالِ

وتتصل بالمزية السابقة مزيةً أخرى هي التعقيد اللفظي والميل إلى الغريب من المعاني وقد وصف شعره بقوله [٥١]:

فكأنما هي في السماع جنادل وكأنما هي في العيونِ كواكبُ
وغرائبٌ تأتيك إلا أنها لصنيعك الحسن الجميل أقاربُ

ولمس علي بن عبد العزيز الجرجاني هذه الصفة في شعره فقال: تعسف ما أمكن وتغلغل في التعصب كيف قدر، ثم لم يرضَ بذلك حتى أضاف اليه طلب البديع، فتحمله من كل وجه، وتوصل إليه بكل سببٍ ولم يرضَ بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة، وقصد الأغراض الخفية. وهذا انما يدل على عبقرية الشاعر فاحتمل فيها كل غثٍ ثقيل، وأرصد لها

الأفكار بكل سبيل [٥٢].

وليس الغرض هنا تتبع غرائب ابي تمام او تكلفه في طلب البديع، بل هو إظهار أثر عاهته النفسية في ما يصدر عن تمتمته في السعي إلى إظهار مقدرته اللغوية، وتمكنه البلاغي، ومهارته الشعرية للتغطية على عاهته، وقطع كلام من يطمع في تصيد عيوبه، أو بيان ضعفه، فكأنه يقول لهم لا تنظروا إلى تمتمتي، وانظروا إلى شعري وبلاغتي وجاروني بهما عن استطعتم، فوظف العاهة النفسية لتكون سبب إبداع شعري ولغوي وبلاغي يتحدى به الآخرين، فلا غرو أن ظهر مثل هذا التصعيب في شعره فهو يؤكد جانب التعالي بعد أن تمكن من صياغة اللغة وتوظيفها للغوص في المعنى البعيد ولا يبالي بما يأتيه من نقد، فقد سأله أبو العميثل اللغوي لِمَ تقول ما لا يفهم؟ فأجابه على الفور ولمَ لا تفهم ما يقال [٥٣]، وهذا الأمر دفع الناقد العباسي المشهور علي بن عبد العزيز الجرجاني إلى القول: (إن ديوانه مشحون بالغموض والتعقيد) [٥٤]، وقد يؤكد وجود الاعتزاز النفسي الممزوج بالقدرة من التمكين من اللغة، حيث قال :

إن القوافي والمساعي لم تزل ... مثل النظام اذا اصاب فريدا
هي جوهر نثر فإن الفته ... بالسعر صار قلائدا وعهودا
في كل معترك وكل مقامة ... ياخذن منه ذمة وعهودا

ومهما قيل في أبي تمام، فانه يبقى ذلك الشاعر العربي الكبير الذي يشنف الاسماع بأجمل القصائد الشعرية وأجزلها، وقد صدق ابن رشيق القيرواني إذ قال: (إنما سمي الشاعر شاعراً؟ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره...)[٥٥].وهكذا كان التعالي النفسي مع التمكن عند الشاعر .

- الشاعر أحمد بن جعفر الملقب ب(جحظة) :

- وهذا الشاعر أحمد بن جعفر الملقب بجحظة، قال أحدهم سألت جحظة عن لقبه بهذا اللقب، فقال ابن المعتز لقبني به يوما فقال لي: ما حيوان اذا انقلب صار آلة للتجربة؟ فقلت: علق إذا عكس صار قلعا، فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتوء جدا، قد يتسبب هذا في حالته النفسية. التي كانت الدافع الاول في ظهور الشاعر وتمنكه في الجانب الادبي واللغوي .

وكان جحظة قبيح المنظر وحسن الأدب كثير الرواية للأخبار متصرفا في فنون من العلم كالنحو واللغة والنجوم ، مليح الشعر مقبول الألفاظ ومن شعره قوله [٥٦]:

أقول لها والصبح قد لاح ضوءه ... كما لاح ضوء البارق المتألقِ
شبيهك قد وافى ولاح افتراقنا ... فهل لك في صوتٍ وكأس مروقِ
فقالت شفائي في الذي قد ذكرته ... وإن كنتَ قد نغصته بالتفرقِ

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦ / العدد ٤

وقوله:

إذا ما ظمئت إلى ريقه جعلت المدامةَ منه بديلا
وأين المدامة من ريقه ولكن أعلل قلباً غليلا

ففي هذه الابيات تبرز عبقرية الشاعر في استخدام المدامة بدل ريق معشوقته لعل ذلك يعوض مايفقده وينسي الوقت ويخفف الحالة النفسية التي كانت كامنة في داخله .

- الشاعر محمد بن محمد الملقب (الوطواط):

وكان محمد بن محمد بن عبد الجليل يلقب بـ(الوطواط) : وكان كما قال ياقوت الحموي: (من نوادر الزمان وعجائبه وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في نظم الشعر وقول النثر وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب، طار في الأفاق الأدبية صيته، وسار في الاقليم ذكره، وكان ينشد في حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا من الفارسية من بحر آخر[٥٧].

وله من التصانيف ما يدل على سعة أفقه وقدرته الكبيرة في الكتابة وهذا يؤكد تمكنه شعراً ونثراً. وكان يرافق تلك القابليات معاناة وضجر، فقد كان حقير الجثة لم يستطع إخفاء تلك العاهة النفسية حتى لقبه أفراد مجتمعه بـ(الوطواط) ولكنه استطاع بكل جدارة أن ينسيهم عاهته النفسية التي كانت الدافع لذلك وأن يجعلهم يشير اليه بالبنان ينظرون إليه نظرة إعجاب وإكبار، لما اشتملت عليه عقليته الإبداعية من علوم الأدب وغيرها وفي ذلك يقول [٥٨]:

إذا ما شئت أن تحيا سعيداً وتنجو في الحساب من الخصوم
فلا تصحب سوى الأخيار واصرف حياتك في مدارسة العلومِ

- الشاعر ابن الرومي :

وإذا ما ذكرنا في هذا المبحث أحد كبار شعراء العصر العباسي آلا وهو الشاعر ابن الرومي الذي قال عن نفسه في قضية الصلع [٥٩]:

عزمت على لبس العمامة حيلة لتستر ما جرت عليّ من الصلع

وكان متصفا باعتلال الصحة واختلال الأعصاب، وفساد التفكير، وكان جبانا حاقداً متناقضاً في تصرفاته وكان شديد التغير، سريع الانقلاب، ضيق الصدر، قليل الصبر، عظيم التخوف، كثير التجسس يراه مَن يلقاه كالمتوجس المذكور[٦٠]،وهذا الخوف المصحوب بشد الاعصاب المستمر مكن الشاعر الى السعي الحثيث لان ينتج النتاج الادبي الممزوج بالابداع الفني قال بعض أصحابه عن شدّة خوفه: كنت أسايره ونحن سائرون، فلم أنشب أن تراءيته قد ترجل عن دابته بسرعة، ولجأ إلى بعض الدكاكين، وأسلم الدابة ، فأمرت مَن أمسكها وأتيت إليه فقلت: ما بالك يا أبا الحسن؟ وإذا هو يضطرب اضطرابا شديدا، فأمسكت عنه حتى سكن ، فقلت له: ما الذي

هاجك؟ قال: أما ترى ذاك؟ وإذا برجل من العامة يحمل ذوبينا وهي عصا في طرفها حديد بثعبتين، فقلت: أراه، فقال: أو ما ترى البركار الذي بيده، ما يؤمنني أن يلويه على عنقي فيفتله [٦١]، وكان كذلك متطيرًا [٦٢] كثير الاعتقاد بالشؤم في الأشخاص والأشياءعلى حد سواء يهجو من يتشاءم منه أقذع هجاء، فمن ذلك هجاؤه لأحدب كان يقعد كل يوم على بابه، فاذا نظر إليه ابن الرومي رجع وخلع ثيابه، وقال: لا يفتح أحدٌ البابَ ويمكث في بيته أياماً يشرف خلالها أهل بيته على الهلاك من شدَّة الجوع والعطش ولم يلبث أن انتقم لنفسه من هذا الأحدب عندما هجاه وهذا يبرز الحالة النفسية عند الشاعر بقوله [٦٣]:

قصرتُ أخادعه وطال قذاه فكأنه متربص أن يُصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحسّ ثانية لها فتجمّعا [٦٤]

وحكي عنه: أنه سأل (الموفق) أو غيره في قدح مُحكم رآه فاعجبه فوهبه إياه ، قال بعض إخوانه: وكنت معه وقد خرج من دار السلطان، فوضعه على رأسه ثم أزاله بسرعة ثم وضعه على ركبته ثم رمى به فكسره، فقلت له: ما هذا الخاطر الفاسد؟ قال: وصل إليَّ هذا القدح وما على وجه الأرض أحب اليَّ منه، فوضعته على أشرف أعضائي، ثم ذكرت قول بعض الحكماء: إن الصاعقة اذا قابلت الشيء الشفاف انحدرت إليه فخفت أن تقع عليَّ صاعقة فتهلكني، وهذا من دواعي الحالة النفسية التي كان يعاني منها الشاعر ثم وضعته على ركبتي فخفت أن تصدمني دابة فينكسر، فيدخل في جسمي، فيكون سبب علة مزمنة، وخفت أن يكون الذي دعاني إلى طلبه ما أراده الله بي، فرأيت الراحة في كسره[٦٥]، وقد تكون عوامل القلق والاضطراب نابعة من جهات اخرى التي رأيناها في شعر ابن الرومي ،وكثيرة هي المواقف التي لا يسعنا ذكرها في هذا البحث، ولعل في ما ذكرناه من أمثلة يفي بالغرض، ونستطيع من خلالها معرفة مدى أثر العاهة النفسية في أدب الشاعر .ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بعد ذلك بأن كل ما اتصف به ابن الرومي من صفات شاذه كانت ثمنا لنبوغه وعبقريته، فقد كان إلى جانب عاهاته ذا قابليات نادرة، فهو دقيق الإحساس إلى حد بعيد، وكان ذا خيال جامح ومقدرة عجيبة على الإبداع، ولعل تشاؤمه كان سببا في تضاعف مقدار ذلك الخيال الادبي الفني الخلاق.

فراح يبرز الإحساس في أدق تفاصيله، الادبية ويبتكر الصور والمعاني الجديدة التي ظهر منها الكثير في هذا العصر ويستقصيها ، دون تكلف أو تصنع بلغة سهلة طبيعية، تدل على فخامة رصيده اللغوي وقدرته الفائقة في تهيئة ما يتلاءم من الألفاظ والمعاني[٦٦].

قال هو عن شعره (شعري لو تأمله الإنسان ذو العقل والحجى عَبده) ولا يزال شعره يقوم شاهدًا بأنه شاعر من أوسع شعراء العربية ثقافة وله في ذلك أبيات يقول فيها [٦٧]:

إن أكن غير محسن كل ما تطلبُ إنـــــي لمُحسِـــــنٌ أجـــــزاء
فمتـى مـا أردت طالـب فحـص كنـت ممـن يشـارك الحكمـاء
ومتـى مـا أردت قـارض شـعرٍ كنـتُ ممـن يُسـاجل الشـعراء
ومتـــى مـــا خطبـــت منـــي خطيبـــاً جـلَّ خطبـي ففـاق بـي الخطبـاء
ومتـى حـاول الرسـائل رسـلي بلغتنـــي بلاغتـــي البُلغـــاء

وحقا كان شاعرا من الصنف الاول وديوانه شاهد بكل الاغراض الشعرية وقد شهد له الأدباء والنقاد والمؤرخون بذلك كله، فقال عنه ابن خلكان: (إنه صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيخرجها من مكانها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية) [٦٨].

وقال المستشرق بروكلمان: (وشعر ابن الرومي أقل طنطنة ودوياً من شعر المتنبي ولكنه أبين وأذلف) [٦٩].وبهذا يكون الشاعر بمزلة عظيمة عند الكتاب والنقاد على حد سواء .

الخاتمة

إن الحديث عن قضية العاهات المؤثرة في الابداع يعد من القضايا المعقدة؛ لأنها اختصت بمذاهب أكثر الشعراء وتكون متنوعة حسب العاهة التي أصيب الشاعر بها، فكثيرا ما كانت سببا في إمكانية الشاعر وقدرته على تعويض هذه العاهة، وهذا يختلف من شاعر إلى آخر إضافة إلى ذلك الموهبة والثقافة وإمكانية الإبداع عند الشاعر.

وقد عكس الشاعر العباسي الوضع الثقافي والاجتماعي في عصره؛ ليحقق بذلك هدفه المنشود المتمثل في تقدير هؤلاء الناس لما عندهم من قدرات فائقة رغم العاهة.

وأكد علماء النفس أن ذلك أهم حاجه نفسية يروم ذو العاهة تحقيقها لا سيما ذو العاهة الجسمية الظاهرة للعيان التي لا يمكن إخفاؤها، وتوصلت الدراسة الى نتائج منها:

١-إن جميع الشعراء أصحاب العاهات الجسمية كانت لهم دافع في قضية الابداع والسعي الى التمكن الشعري واللغوي.

٢-تتفاوت قضية الإبداع في ما بين الشعراء من شخص الى آخر في نسبة تأثير العاهة في الشاعر نفسه.

٣-محاولة الشعراء الذين لقبوا بالعاهات لفت نظر المجتمع إلى الامكانيات الابداعية الكبيرة ونسيان العاهة الظاهرة للعيان وأمر الكامنة داخل النفس.

٤-إن تألم الشاعر ذو العاهة ومعاناته تكون أشد وطأة وأكبر أثراً في نفسه، عندما يلقب بعاهته.

٥-ولع الشعراء بمحاولة التفوق والظهور على زملاء العصر وحب التميز.

٦-سعي كثير الشعراء المزج بين الأدب بشطريه الشعر والنثر في سبيل التفوق والظهور؛ للتخفيف من معاناته من العاهة وأثرها في نفسه.

الهوامش

(١) كولدرج السيرة ط دار المعارف – القاهرة ١٩٥٨ ص١٧٠ ٠

(٢) سيكولوجية المرضى ، ص : ٩١ ط مصر

(٣) الرواية في الأغاني جـ ٣ ص٧٠ معظمة التقدم : مصر .

(٤) ديوان بشار :٤/ ١٣٦.

٣- السابق :٤ /١٢.

٤- السابق : ٤٦/١.

(٧) ديوان بشار : ١/ ٢٦٩.

(٨) ديوان بشار : ١/ ٢٧٩.

(٩) ديوان بشار

(١٠) طبقات الشعراء : ص٢٢ لابن المعتز ط دار المعارف، مصر.

(١١) حديث الاربعاء جـ٢ ص١٨٨، والشعر والشعراء ج٢ ص٦٤٢.

(١٢) ينظر: طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٥١.

(١٣) ينظر: سيكولوجية المرضى ص١٧٢.

(١٤) ديوان أبي العلاء المعري.

(١٥) ديوان أبي العلاء المعري.

(١٦) سيكوجية المرضى ص١٧٣.

(١٧) ديوان الحماسة ج٢ص١٤٤.

(١٨) جمع الجواهر الملح والنوادر ط القاهرة ١٩٥١ ص٢٤٦.

(١٩) جمع الجواهر الملح والنوادر ط القاهرة ١٩٥١ ص٢٤٥-٢٤٧.

(٢٠) السلعة : هي غدة او زيادة في البدن .

(٢١) الرواية في تاريخ بغداد ج٨ ص٣٨٣، والاغاني ج٨ ص٥٥.

(٢٢) ديوان دعبل بن علي ص١٨٣ ط النجف الاشرف ١٩٦٢.

(٢٣) ديوان دعبل الخزاعي ص،٣٣٤ والاغاني ج١٩ ص٤٧.

(٢٤) ينظر: تاريخ معجم الادباء، طبقة مرجليوث، مصر ج٤ ص١٩٤.

(٢٥) ينظر: تاريخ ابن عساكر ج٥ ص٢٢٩.

(٢٦) معجم الادباء ج٤ ص١٩٤.

(٢٧) ديوان دعبل بن علي الخزاعي ص١٧٨.

(٢٨)طبقات الشواء من المعتز ص١٩٤.

(٢٩)الشعر والشعراء ج٢ص٦٨٠، والاغاني ج١٨ص١٠١.

(٣٠) أخبار ابي نواس ص٦.

(٣١)الامرد الشاب الذي لم تبد لحيته، ومرد مرداً بقى زمانا ثم التحى بعد ذلك وخرج وجهه. ينظر: لسان العرب، مادة مرد ج٣ص٤٠٠.

(٣٢) الاغاني ج٨ص١٠٥.

(٣٣)حديث الاربعاء ج٢ص٢١٢.

(٣٤) يتيمة الدهر ط القاهرة ١٩٥٦ ج٣ص١٣٦.

(٣٥)يتمية الدهر ط القاهرة ١٩٥٦ ج٣ص١٣٦.

(٣٦)عبقرية الشريف الرضي ط مصر ١٩٥٢م، ج١ص٢٠٨.

(٣٧)الحيّي من الحياء في علم النفس ينشأ عن وعي للذات شديد الحدة، وهو يختلف عن الجبن اختلافا كليا.

(٣٨) يتمية الدهر ج٣ص١٥٦.

(٣٩) ديوان الشريف الرضي، ج٢ص٥٥٢.

(٤٠) ديوان الشريف الرضي، ج٢ص٥٥٢.

(٤١)ينظر: عبقرية الشريف الرضي ١٠٦/١

(٤٢) ديوان الشريف ٣١٥/١

(٤٣)التمتمة لغة: رد الكلام إلى التاء والميم. وقيل: هو أن يعجل بكلامه فلا يكاد يفهمك. لسان العرب ج١٢ص٧١.

(٤٤) ينظر : سيكولوجية المرضى ص٢١٩، موسوعة علم النفس ص١٣.

(٤٥)سيكولوجية المرضى ص٢٢٠.

(٤٦)ينظر: العمدة ط مصر ١٩٦٣، ج١ص١١٠.

(٤٧) ديوان ابي تمام ج٢ ص٣٠٨.

(٤٨) ينظر: الحنين إلى الديار في الشعر العربي الى نهاية العصر الأموي، عبد المنعم الرجبي – اطروحة دكتوراه – جامعة القاهرة ١٩٨٠ ص٦٢٨.

(٤٩) رسالة الغفران، ابو العلاء المعري، تحقيق و عائشة، ، ابوا عبد الرحمن من دار المعارف القاهرة ١٩٧٧، ص٤٨٨.

(٥٠) ديوان أبي تمام، تحقيق محمد بن عبد الله عزام، دار المعارف القاهرة ١٩٧٢، ج٢ص٧٧.

(٥١) ديوانه: ١٧٤/١.

(٥٢)ينظر :الوساطة من المتنبي وخصومه علي بن عبد العزيز، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم بيروت (د – ت) ص١٩.

(٥٣)اخبار ابو تمام ابو بكر الصولي ط لجنه التأليف والترجمة القاهرة ١٩٣٧ ص٧٢.

(٥٤)ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومة ص٤٨٩.

(٥٥)العمدة: ١١٦/١.

(٥٦) جمع الجواهر في الملح النوادر ص٢٥٢.

(٥٧) ينظر: معجم الأدباء ج١ص٩١.

(٥٨) ينظر: معجم الادباء ج٧ص٩٥.

(٥٩) ديوان ابن الرومي

(٦٠)ينظر: جمع الجواهر في الملح والنوادر ص٢٩٣.

(٦١)جمع الجواهر: ص٢٩٤

(٦٢)الطيرة شبعة من مرض الخوف الناشئ من ضعف الاعصاب واختلالها.

(٦٣)ينظر: جمع الجواهر ص٢٩٤.

(٦٤)ديوان ابن الرومي .

(٦٥)ينظر : جمع الجواهر ص٢٩٤.

(٦٦)ينظر : جمع الجواهر ص٢٩٥.

(٦٧)ديوان ابن الرومي، ط مصر الهيئة العامة ١٩٧٤، ج١ص٨١.

(٦٨)وفيات الاعيان ج١ص٣٥١.

(٦٩)تاريخ الأدب العربي بروكلمان ط دار المعارف مصر ١٩٦٨، ج٢ص٤٥.

المصادر

١- اخبار ابو تمام لأبي بكر الصولي، ط لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٣٧م.

٢- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني، مطبعة التقدم، مصر.

٣- تاريخ ابن عساكر، ترتيب وتصحيح عبد القادر افندي، مطبعة روضة الشام-دمشق ١٣٣٠هـ.

٤- تاريخ الأدب العربي بروكلمان، ط دار المعارف مصر ١٩٦٨م.

٥- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة- القاهرة ١٩٣١م.

٦- جمع الجواهر في الملح والنوادر، ابو اسحاق ابراهيم الحصري، تحقيق: علي محمد، ط دار احياء الكتب القاهرة ١٩٥١م.

٧- حديث الاربعاء، د- طه حسين مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦٠م.

٨- الحنين الى الديار في الشعر العربي الى نهاية العصر الاموي عبد المنعم الرجبي، اطروحة دكتوراه - جامعة القاهرة ١٩٨٠م.

٩- دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر.

١٠- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د حسين نصار، ط مصر الهيئة العامة ١٩٧٤م.

١١- ديوان ابو نؤاس، تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر- القاهرة ١٩٥٣.

١٢- ديوان ابي تمام، تحقيق: محمد بن عبد الله عزام، مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٢م.

١٣- ديوان الحماسية المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٠٦٧م.
١٤- ديوان الشريف الرضي مطبعة دار صادر بيروت ١٩٦١م.
١٥- ديوان بشار بن برد، تحقيق: الطاهر بن عاشور، القاهرة ١٩٥٠-١٩٥٤.
١٦- ديوان دعبل بن علي الخزرجي ط النجف الاشرف ١٩٦٢م.
١٧- رساله الغفران ابو العلاء المعري، تحقيق: د عائشة عبد الرحمن، ط دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م.
١٨- سيكولوجية المرضي، مطبعة، مصر.
١٩- الشعر والشعراء لابن قتيبة، ط بيروت ١٩٦٩م.
٢٠- طبقات الشعراء لابن المعتز، ط دار المعارف، مصر.
٢١- عبقرية الشريف الرضي زكي كبارك، ط مصر ١٩٥٢م.
٢٢- العمدة في مجلس الشعر وآدابه ونقده الزبيدي محمد مرتضى، ط السعادة مصر ١٩٦٤م.
٢٣- كولدرج السيرة، ط دار المعارف القاهرة ١٩٥٨م.
٢٤- لسان العرب لابن منظور، ط دار صادر بيروت ١٩٦٨م.
٢٥- مع ابي العلاء المعري في رحلة حياته، تحقيق: د. عائشة عبد الرحمن، دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٧٣.
٢٦- معجم الأدباء للمزرباني، طبعة مرجليوث، مصر ١٩٦٠م.
٢٧- الوساطة بين المتنبي وخصومة، علي بن عبد العزيز، تحقيق: محمد ابو الفضل براهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم- بيروت (د-ت).
٢٨- يتيمة الدهر للثعالبي، ط القاهرة ١٩٥٦م.

Sources

1- "Akhbar Abu Tammam" by Abu Bakr al-Suli, published by the Committee for Authorship and Translation, Cairo, 1937.
2- "Al-Aghani" by Abu al-Faraj al-Isfahani, Al-Taqaddum Press, Egypt.
3- "History of Ibn Asakir", arranged and corrected by Abdul Qadir Effendi, Rawdat al-Sham Press, Damascus, 1330 AH. 4- Brockelmann's History of Arabic Literature, published by Dar Al-Maaref, Egypt, 1968.
5- The History of Baghdad, by Ahmad ibn Ali al-Khatib al-Baghdadi, Al-Saada Press, Cairo, 1931.
6- Collection of Jewels in Salt and Anecdotes, by Abu Ishaq Ibrahim al-Husri, edited by Ali Muhammad, published by Dar Ihya al-Kutub, Cairo, 1951.
7- Wednesday Talk, Dr. Taha Hussein, Dar Al-Maaref Press, Cairo, 1960.
8- Longing for Home in Arabic Poetry until the End of the Umayyad Era, Abdel Moneim Al-Rajabi, PhD Thesis, Cairo University, 1980.
9- Evidence of Miracles, Abdel Qaher Al-Jurjani, Edited by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Egypt.
10- Diwan of Ibn al-Rumi, edited by Dr. Hussein Nassar, published by the General Authority of Egypt, 1974.

11- Diwan of Abu Nuwas, edited by Ahmed Abdel Majeed al-Ghazali, Misr Press, Cairo, 1953.
12- Diwan of Abu Tammam, edited by Muhammad bin Abdullah Azzam, Dar al-Maaref Press, Cairo, 1972.
13- Diwan al-Hamasiya al-Marzouqi, edited by Ahmed Amin and Abdel Salam Haroun, published by the Committee for Authorship, Translation, and Prose, Cairo, 1067 CE.
14- Diwan al-Sharif al-Radi, Dar Sadir Press, Beirut, 1961 CE.
15- Diwan Bashar ibn Burd, edited by al-Tahir ibn Ashur, Cairo, 1950-1954 CE.
16- Diwan Da'bal ibn Ali al-Khazraji, published by Najaf al-Ashraf, 1962 CE.
17- The Epistle of Forgiveness by Abu al-Ala al-Ma'arri, edited by Dr. Aisha Abdul Rahman, published by Dar al-Ma'arif, Cairo, 1977.
18- Psychology of the Patients, printed by Dar al-Ma'arif, Cairo, 1977.
19- Poetry and Poets by Ibn Qutaybah, published by Beirut, 1969.
20- Classes of Poets by Ibn al-Mu'tazz, published by Dar al-Ma'arif, Egypt.
21- The Genius of al-Sharif al-Radi Zaki Kabarak, published by Cairo, 1952.
22- Al-Umda in the Council of Poetry, its Literature, and Criticism by Al-Zubaidi Muhammad Murtada, Al-Saada Press, Egypt, 1964.
23- College of Biography, Dar Al-Maaref Press, Cairo, 1958.
24- Lisan Al-Arab by Ibn Manzur, Dar Sader Press, Beirut, 1968.
25- With Abu Al-Ala Al-Ma'arri in His Life's Journey, edited by Dr. Aisha Abdul Rahman, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 1973.
26- Mu'jam al-Udaba' by al-Muzarbani, Margoliouth edition, Egypt, 1960.
27- Mediation between al-Mutanabbi and his Enemy, Ali ibn Abd al-Aziz, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim and Ali Muhammad al-Bajawi, Dar al-Qalam, Beirut (n.d.).
28- Yatima al-Dahr by al-Tha'alibi, Cairo edition, 1956.